

مع فرويد، الذي استجاب له فوراً وبصورة ايجابية... وتوضح تفاصيل هذا الاقتراح، وكذلك طبيعة استجابة فرويد له، في خطاب بعث فرويد به الى جونز، يحمل تاريخ الاول من آب (اغسطس) ١٩١٢، أي بعد مرور أقل من شهر على بزوغ الفكرة، ذكر فيه: «... ان ما استولى على خيالي فوراً هو فكرتك عن 'مجلس سري' يتألف من خيرة رجالنا وأكثرهم استحقاقاً للثقة، للقيام على امور التطورات اللاحقة للتحليل النفسي، وللدفاع عن القضية في مواجهة الاشخاص والاحداث بعد وفاتي... وقبل كل شيء، ينبغي ان تلتزم تلك اللجنة بالسرية المطلقة، سواء في ما يتعلق بوجودها اصلاً، او في ما يتعلق بأعمالها... ومهما أتت به الايام المقبلة، فان القائد المقبل لحركة التحليل النفسي ينبغي ان يخرج من بين هذه الحلقة الصغيرة المختارة من الرجال...». ولم يمض عام حتى عقدت تلك القيادة اول اجتماعاتها في منزل فرويد، الذي اهدى لكل من اعضائها فصاً اغريقياً قديماً من مجموعته، وقام هؤلاء بتركيب هذا الفص على خاتم ذهبي، كان فرويد يلبس مثيلاً له. وحين انضم ايتنغتون الى القيادة، بعد عدة أعوام، اهدى فرويد اليه خاتماً مماثلاً كذلك.

تُرى ما الذي يدفع عالماً الى تشكيل قيادة سرية للمشتغلين بذلك العلم؟ ألا يضيف ذلك طابعاً سياسياً مريباً على القضية بأسرها؟ وعلى أي حال، فان ايريك فروم، وهو من المحللين النفسيين البارزين الذين اخرجوا حتى من اطار التنظيمي العلني لحركة التحليل النفسي، لا يتردد في ان يفرد، في كتابه «رسالة سيغموند فرويد»، فصلاً بعنوان «الطابع شبه السياسي لحركة التحليل النفسي». بل انه يرى في هذا الكتاب «... ان فرويد كان يمكن ان يصبح قائداً اشتراكياً، أو قائداً لحركة ثقافية اخلاقية، او لأسباب أخرى، واحداً من قادة الحركة الصهيونية».

ولقد كان فرويد، منذ البداية، على وعي بالطابع الصهيوني لحركة التحليل النفسي. ولذلك، فقد كان حريصاً، دوماً، على ان تضم واجهة هذه الحركة وجوهاً غير يهودية، وحبذا لو لم تكن صهيونية. وقد صادف مسعاه النجاح حيناً، والفشل حيناً آخر. لقد نجح، مثلاً، في المحافظة على ارنست جونز، المحلل النفسي والمسيحي الملحد والصهيوني المتعصب، عضواً في القيادة السرية للتنظيم حتى النهاية. ولكنه واجه اخفاقاً شديداً في المحافظة على بقاء كارل يونغ، المحلل النفسي المسيحي في اطار الحركة، على الرغم مما قدمه اليه من اغراءات وصلت حد محاولة تنصيبه خليفة له في قيادة الواجهة العلنية لحركة التحليل النفسي.

وقد قرر اريك فروم، في هذا الصدد، انه، في المؤتمر الثاني لحركة التحليل النفسي الذي عقد في نورمبرغ، في آذار (مارس) ١٩١٠، ادرك فرويد ميزة توسيع الحركة الى ما هو أبعد من النطاق الضيق ليهود فيينا. وادرك، أيضاً، ان عليه اقتناع زملائه من هؤلاء اليهود بوجهة نظره، التي كان مؤداها اسناد بعض المناصب الرئيسية في الحركة الى غيرهم، وفي مقدمهم يونغ. «وحين نمي الى علم فرويد ان بعضاً من زملائه يهود فيينا يعقدون اجتماعاً في الحجرة التي يشغلها شتيكل في الفندق لحق بهم وادار معهم مناقشة حامية، كان جوهرها ابراز الجو المعادي الفظيع المحيط بهم، والحاجة الى غطاء خارجي لمواجهته... ثم قام، بصورة درامية، بخلع سترته قائلاً: ' ان اعدائي سوف يسعدهم رؤيتي اتصور جوعاً؛ انهم سوف ينزعون سترتي عن ظهري '».

ولعل احساس فرويد بحاجة تنظيمه الى غطاء يخفي جوهره الصهيوني يتضح في خطاب بعث به الى كارل ابراهام، الذي أصبح واحداً من أعضاء القيادة السرية للتنظيم، يحثه فيه على كسب مودة يونغ، وذلك في أيار (مايو) ١٩٠٨، جاء فيه: «... ان يونغ، لكونه مسيحياً وابناً لقسيس،